تفريغ المجلس (٠٢٢)

"تتمة الباب الخامس - "ذكر بعض رؤساء البربر (يوبا الثاني / بطليموس)[1].

[1] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لهن وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }آل عمران١٠٢

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}النساء١

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }الأحزاب-٧١-٧٠

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

في هذه الليلة المباركة التي نسأل الله جل وعلا فيها خيرها وخير ما فيها، ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها، نستأنف دروسنا الدورية الأسبوعية لهذا العام ١٤٤١هبعد انقطاع لفترة كما تعرفون، فنستأنف إن شاء الله تعالى الدروس بدءً من هذا اليوم وهو درس في "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، وباقي الدروس الأخرى كذلك إن شاء الله تعالى ودرسنا في هذه الليلة كما هو معتاد، هو في كتاب لأحد أعلام هذا البلد وهو الشيخ الإمام العلامة المبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة ١٩٤٥م، وعنوان هذا الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" كنا قد شرعنا فيه، وأخذنا منه شوطا من مجلده الأول.

ولبعد العهد به نذكر حوصلة أو خلاصة حول هذا الموضوع عموما، وكنا في أوائل المجالس قد أخذنا التعريف بعلم التاريخ، وقلنا إنه علم يبحث عن وقائع الزمان، من حيث التعيين والتوقيت، بل يبحث عما في العالم، وموضوعه هو الإنسان والزمان، أي الحوادث والوقائع التي تقع للإنسان في مختلف الأزمة ومختلف الأمكنة، وذكرنا أيضا بعض أهدافه، ومنها معرفة السنن الربانية، وتاريخ الإنسانية، وتأكيد جملة من الحقائق في حياة البشر، والحصانة الفكرية من

الانحراف عن منهج الله تعالى وصراطه المستقيم، وكذلك يساعد على فهم الحاضر وتعليله، والتخطيط للمستقبل والاستفادة من الماضي، كما أنه يفيد اكتساب التفكير التاريخي، وقلنا إن علم التاريخ له علاقة بعلوم أخرى كالطب والأدب واللغة والفلك والشريعة، والأديان، وغير ذلك.

وقلنا إن له مصادر كثيرة من الوثائق والآثار والعقود والمراسيم، وجمعت هذه التواريخ في كتب معينة، وهي كثيرة، ومن ضمنها هذا الكتاب الذي ألفه هذا العالم عالمنا الجزائري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقبل أن نستأنف فيما كنا قد شرعنا فيه وانتهينا إليه، ألخص كذلك من أول الكتاب إلى حيث توقفنا.

ذكرنا أن هذا الكتاب خاص بتاريخ الجزائر، وهذه المنطقة منطقة قديمة، والعنصر البشري فيها من القدم، توراد عليها كما ذكرنا عنصران، وكان قبل العنصر البربري كما يسمى عنصر آخر، وهذه المنطقة -التي هي شمال إفريقيا- أول ما كان يطلق عليها اسم "ليبيا" أو "لوبيا" وسكنها -كما ذكرنا- البربر وهم قد عاصروا الكثير من الأجناس كالفرس، واليونان، والفينيقيين وغيرهم، ومما أطلق الفينيقيون على هذه المنطقة اسم "افري" وبعد ذلك جاء الرومان وأتموا الاسم وقالوا "إفريقيا" وخصوها بتونس وحده، ثم أطلق بعد ذلك على القارة كلها.

ومن أول من قدم على هذا البلد كذلك الفينيقيون وكانوا أهل تجارة بحرية فابتنوا لهم موانئ بحرية قصد ترويج تجارتهم، وجعلوا تلك الناحية التي سميت بعد ذلك بقرطاجنة قاعدة للعبور، تنزل فيها البضائع وتحوّل، وتروج فيها تجارتهم، وأطلقوا عليها اسم "إكوزيم" ثم سميت بعدها "إكوزيوم" وهذا الاسم تجدونه في بعض المحلات والشركات، وبعض اللافتات "إكوزيوم" وهو إشارة إلى الاسم القديم الذي أطلقه الفينيقيون على هذه الأرض، سميت بعد ذلك الجزائر، وقيل سبب ذلك هو وجود صخور كبيرة على شاطئها، وهي متناثرة متباعدة على هيئة جزر، فسميت بالجزائر.

وفي حدود القرن ١٠ م نزلت قبائل بني مزغنة في هذه المنطقة، فسميت "جزائر بني مزغنة" وفيها فروع وقبائل كثيرة، وهي من فروع صنهاجة، وفي زمن الأتراك اختصروا الاسم وسموها بالجزائر أو "سلطنة الجزائر" وهي في العموم تشمل ثلاث مناطق وهي ماصيليا، وماسيصيليا، وجيتوليا، ولما جاء العرب سموها بالمغرب العربي، نسبة إلى كونها جهة الغرب بالنسبة للشرق، وجعلوها ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، والأوسط، والمغرب الأقصى.

وذكر المؤلف حدود هذا البلد، ومناخه وتضاريسه، وما يتعلق بنباتاته وغاباته، والخضر والحبوب والفواكه التي فيه، ذكر أيضا الثروة الحيوانية والمعادن والاقتصاد الذي هو فيه.

ثم عاد لذكر أصل الذين سكنوا هذه المنطقة، فذكر أن أصل البشر يرجع إلى آدم ثم يرجع إلى نوح، وأن نوحا تفرع عن أولاده الثلاثة من جاء بعدهم، فكان لنوح ﷺ ثلاثة من الولد الذين جاءت بعدهم السلالات، وهم "سام، وحام،

ويافث"، ومن حام يأتي البربر لأنهم ينتمون إلى مازيغ بن كنعان بن حام، الذي هو ولد نوح ونوح ينتسب لآدم ﷺ، وهؤلاء -أي الذين ينتمون إلى مازيغ بن كنعان بن حام- في الجملة على قسمين:

١= البرانس، نسبة إلى برنس بن بر بن مازيغ.

٢=البتر، نسبة إلى مدريس الأبتر بن بر بن مازيغ.

واختلط بهم بعض الزنوج والطوارق -يعني الملثمون أصحاب اللثام، وذكر أيضا جملة من القبائل الإفريقية وهي كثيرة، ككتانة، وعجيسة، وصنهاجة، وزناتة، ومصمودة، ومغراوة، والزواوة، ونفوسة، ومكناسة ... وغيرها الكثير.

وذكر آثار القدماء الذين كانوا في هذا البلد ونزلوا فيه، ذكر منازلهم وقبورهم، وآلاتهم، والمقتنيات عندهم، وذكر بيوتهم ومساكنهم ومطعمهم ومشربهم وملبسهم ومكسبهم وما يتعلق بهم من اللغات والدين.

ثم ذكر أصل البربر، وبالمناسبة أيضا فبعضهم يقول "البربر" نسبة إلى البر، سكان البر، أو بر بن مازيغ بن كنعان، وبعضهم يرى أن هذه التسمية "بربر" هي تسمية سياسية مغرضة، ولعلي لم أشر إلى هذا سابقا، ومما يزاد، فقال بعضهم هذا ليس اسما يعد علم جنس، وإنما هي تسمية سياسية مغرضة، أطلقها اليونان، ومن بعدهم الرومان على غيرهم من الأجناس، فما كان من الأجناس التي يسيطر عليها الرومان واليونان، ويحتلون أوطانهم، ولا يستطيعون التفاهم معهم لاختلاف اللغات، يسمونهم بالبربر، ويزعمون أنهم من غير أصل ومن غير حضارة، وليسوا بأهل تطور، ويطلقون عليهم اسم "البربر". وعلى هذا فالبربر حقيقة ليس على الجنس، بل هو وصف يصفه هؤلاء، فهو وصف وتسمية سياسية مغرضة، هذا المقصود، ويطلقونه أيضا على من يرمونهم أنهم أهل وحشية، وأهل التأخر وعدم التطور، لهذا قال بعض من اختار هذا التحليل.

أما لو عكسنا فذكرنا هذا على شعوب أوروبا، كانوا هم أولى بهذا الاسم.

ثم ذكر العلامة مبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصل البربر، واختلاف الناس في ذلك، فمنهم من اختار طريق النقل، ومنهم من اختار طريق الدراية، اعتمد بعضهم طريق الرواية النقل -فلان عن فلان- وذكر نحو سبعة أقوال بعضها يرجعه إلى أنه أصل مستقل من ولد حام أو سام أو يافث، أو من الهنود أو من بلاد المشرق، أو من القوقاز أو من غير ذلك، وبعضهم اختار في طريقة تعيين أصل البربر الدراية، الاعتماد على الأمور الحسية، البحث عن لباسهم، مطعمهم، مكسبهم، الوصول إلى بعض آثارهم، اللغة، الخلقة، ... وغيرها، وهؤلاء أيضا لهم أقوال.

وصحح رحمه الله كونهم ينتمون إلى ولد حام، ينتمون إلى مازيغ الذي ينتهي نسبه إلى حام، وصحح هذه النسبة، وذكر هجرة البربر إلى ليبيا، هذه المنطقة كما ذكرنا أولا، وذكر بعض صفاتهم، وذكر القبائل الكبرى منهم، والمواطن التي

[٢٥ - يوبا الثاني (٢٥ق-٢٣م)]

يوبا الثاني (١) هو ابن يوبا الأول، أخذ إلى رومة بعد انتحار والده، ونشأ بها، وفي سنة (٣٠) ق. م توفي انطونيوس، وكان متزوجا بكلابطرة أخت بطليموس الثاني عشر، وله منها بنت تدعى كليوباطر سيليني، وقام وكافيوس بكفالة أبنائه فزوج هذا البنت من يوبا وولاه مصر.

وفي سنة (٢٥) ق. م أو قبلها ولاه على نوميديا بصفة أمير نائب، ولا يعلم نفوذه بقرطة والمدن المحالفة لها، والمظنون أنه ضعيف لأن تلك المدن المتحالفة كانت لها امتيازات على باقي مستعمرات رومة. وكان نفوذه الفعلي بنوميديا الحديثة، والظاهر أنه أحسن إدارتها ووطد فيها دعائم السلم، يدل لذلك أن

نزلوها، وقد أشرنا إلى بعض هذه القبائل، ثم ذكر حياتهم ونظامهم ولغتهم وكتابتهم واعتقادهم ودينهم، ثم أشار إلى تواجد الفينيقيين وكيف انتقلوا إلى هذه الأرض، وذكر أصل الفينيقيين، وكيف صار وجودهم في الجزائر، وكيف ابتنوا وأسسوا قرطاجنة وصار فيها ملك لهم، وذكر لغتهم وديانتهم ونظامهم وعمرانهم وحضارتهم، وأشار إلى حروبهم الصقلية والبونيقية الأولى والثانية.

ثم ذكر حال البربر في عهد الفينيقيين، وحضارة قرطاجنة وما أثرت به على البربر من حيث الملك ومن حيث الديانة والاعتقاد، والعمران والحضارة وغير ذلك، ثم أشار إلى نشوء ممالك البربر، وانتهى إلى ذكر الأمراء المشتهرين، الذين اشتهروا من البربر والرؤساء، وعددنا كثيرا منهم وانتهينا عند الخامس والعشرين وهو "يوبا" وكان من أشهر من ذُكر من هؤلاء:

ماصينيسا الذي كان يحاول أن يقيم مملكة مستقلة عن الرومان بخلاف بعض من كان يريد أن يتزلف إلى الرومان يريد أن يكون تابعا لهم، ومنهم أيضا "يوغرطا" وهذا من أشر من أرادوا أن يستقلوا ببلدهم وإن كان يمالئون ويظهرون سياسة الاتباع للرومان، لكن كان قصدهم الانتهاء إلى الانفصال التام.

هذا في الجملة خلاصة ما أخذناه من أول الكتاب إلى هذا الموضع، حتى يكون من حضر قد أخذ حوصلة ما سبق ومن لم يحضر من قبل تكون له نظرة شمولية حول ما أخذناه.

الآن انتهى إلى أحد رؤساء البربر، وهو الخامس والعشرين في العد الذي ذكره المؤلف هنا، واسمه "يوبا الثاني" وكانت رئاسته بين العام الخامس والعشرين قبل الميلاد إلى الثالث والعشرين ميلادي.

وكتافيوس نقله فما بعد إلى موريطانيا، وأضاف نوميديا الحديثة إلى إفريقية الأصلية، ووجه الدلالة أن الرومان كانوا يخشون ثورات البربر، فلا يلحقون بمستعراتهم التي تحت تصرفهم الفعلي إلا الأوطان التي ذللها الحكم وعبدها التمدن حتى صارت عاجزة عن الثورات.

وكان الجيتوليون مستقلين تحت عظماء منهم، فتقرب إليهم الرومان أولا بالملاطفة، وعقدوا معهم معاهدات، وعدوهم حلفاء مستقلين، قال مرسي: "وتلك خطوة اولى لإخضاعهم"[٢] ومع ذلك فقد كانوا كثيرا ما يهجمون على الجهات الشمالية، وفي سنتي (٢٩) و (٢١) دافعهم ضابطان رومانيان، وقهقراهم إلى القفار، ووقعت بينهم وبين يوبا عدة وقائع كانت جيوشه فيها منهزمة حتى استعان بالرومان. وإذ ذاك اهتموا بهم وحاربوهم إلى أن انتصروا عليهم وقطعوا جرثومة ثوراتهم سنة (٦م)[٣].

---

[٢] يعني هذه سياسة يتبعها الرومان كانوا يريدون دائما لهذا البلد وهذه المنطقة أن تكون تبعا لهم، ولا يجعلونه يستتب من الثورات، ولا يجعلونه ينتهي إلى أن يتوحد تحت إمرة أحد، فلا بد أن يكون منقسما دائما، ويحاولون كل جهدهم أن يكون أقرب المناطق إليهم على وفق منهجهم وطريقهم، ويحاولون دائما إثارة الثورات، كلما خمدت أثارتها، فيبقى البلد دائما غير مستقر، غير متحد، الجهة التي هي أقرب من الرومان على توافق كبير معهم، كما هو الحال الآن.

[٣] هنا انتقل من الكلام قبل الميلاد إلى ما بعد الميلاد، وهذه محطات تاريخية مهمة، الميلاد، الهجرة، الميلاد نسبة إلى ميلاد عيسى عليه السلام، والحقيقة أن هذا التاريخ -الميلادي- ليس منضبطا جدا، لكن نعلم بدلالة السنة أن ما بين المسيح عيسى ﷺ ونبينا محمد ﷺ ستة قرون يعني ٦٠٠ سنة، قريب منها تزيد قليلا أو أقل.

الميلاد النبوي من حيث التقويم الميلادي في أي سنة على المشهور؟ ٥٧١م، في نيسان، الذي هو أبريل عام الفيل، ٥٧١ يعني يخمس قرون، و٧١ سنة يعني القرن السادس، جاء في صحيح البخاري، في كتاب "بدء الخلق" ذكرها، وأنه ما بين المسيح بن مريم ﷺ ونبينا ﷺ ٦٠٠ سنة يعني نحو ستة قرون، هتان محطتان مهمتان، التاريخ نسبة إليهما، فيؤرخ لما قبل الميلاد، ولما بعد الميلاد، ثم التاريخ الهجري، والمعتمد عند المسلمين التاريخ الهجري، ولكن لضعف المسلمين وتأثرهم بالغرب صار التاريخ بالميلادي.

كيف نحي التاريخ الهجري؟ نحييه بالمعرفة به، وتقوية المسلمين لأنفسهم، فكلما قوي جنس ما، كانت قوته متسلطة على غيره، انظر الآن قوة الغرب، جعلت كثيرا من دول الإسلام تتعطل في يومي الجمعة والسبت، وبعضهم جاوز -السبت والأحد- وذلك لأن هذين يوما عطلة عند الكفار، وبالتالي المصالح فيها تتعطل في الغالب، يوم الجمعة بالنسبة للغرب يوم عمل، فإذا تعطلنا نحن فيه تتعطل مصالحنا، وبالتالي لا تنظر إلى الدخل الفردي، أو مؤسسة صغيرة، انظر إلى مؤسسات الدولة، تتكلم الآن عن الملايير، فإذا كانت الدولة قد تعطلت يوم الجمعة، مع تعطل الغرب السبت والأحد، تصير عدد أيام عدم العمل ثلاثة أيام، تتعطل مصالح الدولة ثلاثة أيام، تذهب آلاف الملايير.

وعند ذلك تضطر دول الإسلام أن تجعل حلا لتفادي هذه الخسارة، هذا الأمر عائد إلى قوة الطرف الآخر، لكن لو كان للمسلمين قوة يضطر الطرف الآخر أن يخضع لك، وهذا كان له حدوث في زمن سابق.

وأنا كنت قد ذكرت لكم وقيدت مما يستفاد من قواعد التاريخ كما ذكر الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ اللهُ كلمة جميلة ذكرها في كتابه هذا، وكتابه كله جميل، فيه كلمة ذكرها مهمة تدخل عليّ وعليكم المسرات، قال **(وهكذا الدنيا إقبال وإدبار)** تكون فيها الكفة لفلان، ثم تكون لآخر، وهكذا الدنيا إقبال وإدبار، إذا قوّى المسلمون أنفسهم وتقووا صارت الكفة لهم، واضطر غيرهم لأن يخضع لنظامهم، ولأيام عطلهم، لكن مادام أهل الإسلام في ضعف، وتقهقر وتأخر، فللضرورة تضطر لاتخاذ مثل هذا الموقف.

ولهذا أنبه! أحيانا بعض الناس قد لا ينتبه إلى الأثر الكبير الذي يقع على النظام الاقتصادي أو التجاري بالنسبة للدولة المتعلق بأيام العطل، فينتقد من غير تروٍّ لماذا اتّخذ هذين اليومين من أيام العطلة وأن هذا فيه كذا وكذا، وتقليد للغرب ونحو هذه التعليلات، وهي حقيقة تعليلات لها محلّها، لكن لابد من الانتباه إلى هذا الأمر، فالواجب على المسلمين أن يتقووا، ويقووا أنفسهم ويراعوا الأوضاع التي هم عليها وفيها.

ولكن إذا جئنا إلى مسألة هل يجوز أن يتخذ المسلمون أيام العطل التي يتخذها أهل الكفر؟ هذا الأمر لا ينبغي أن يُتساهل فيه، وهو أمر ليس بالسهل، وبعض الفضلاء ألف في ذلك رسالة، انتهى فيها إلى أن هذا غير جائز، وليس للمسلمين أن يشابهوا أهل الكفر في ذلك، أما من حيث ميزانية الدولة وتسييرها ونحو ذلك، فلابد أن نأخذ بعين الاعتبار هذين اليومين، وما يتضرر به المسلمون، فيكون فيه مخرج لابد أن يتخذ حتى لا يقع الضرر على المسلمين.

وكما ذكرت حتى نحيي هذا التاريخ الهجري أن يعرفه المسلمون أنفسهم، يعني لو سألنا في أي سنة هجرية الآن نحن، ولا أقصد أهل المسجد إنما أهل الشارع، حتى أني في هذه الإجازة التي كنت فيها، وقع أمر في ذهني وقلت هذه الدروس في المسجد نفس الأشخاص الذين يحضرونها، والذين في الخارج هم أولى من نوصل إليهم هذا الوعظ وهذا الدين، فالأصل في دروسنا أن تكون عند هؤلاء، في المقهى، والملعب، وساحة الألعاب.. هؤلاء يحتاج إلى أن يوصل إليهم، لكن كيف! الله أعلم، نسأل الله تعالى أن يهدينا ويهديهم وأن ييسر لنا سبيلا نصل فيه إليهم، ومن كان يستطيع أن يوصلنا إليهم في مجالس، نجلس فيها إليهم ليست مجالس سياسية يرموننا بها لكن مجالس تعليمية تأديبية وعظية، فحبذا أن يفعل، وإلى غاية ذلك الوقت نسأل الله أن يهدينا ويهديهم، وأن يصل إليهم ما نسعى في إصلاح به أنفسنا وأنفسهم.

قلت لو نسأل كثيرا من الناس لا يعرفون، أي عام هجري نحن فيه؟ لا يعرف، أما إذا قلت الشهر لا يعرف، واليوم؟ لا يعرف، إذا قلت: عدد لي الهجرة بالنسبة إلى ماذا؟ لا يعرف، إذا قلت: ما هي الأشهر الهجرية لا يعرف، إذا قلت الشهر الهجري كم فيه من يوم؟ لا يعرف، فكيف يغير الله ما بنا ونحن ما غيرنا أصلا ما بأنفسنا، ولا عرفنا أصولنا، ثم هذا المرجع محل اتفاق، الهجرة النبوية محفوظة تاريخا وتحديدا ويوما وشهرا، وهي أضبط من غيرها، هذا الذي ينبغي أن نسعى فيه في أنفسنا وفي أهالينا، وهذا من أسباب التغيير.

أما إذا رجعنا إلى المحلات والدكاكين والتعاملات، فلن نجد الناس يتعاملون بالهجري أبدا، فيوزعون الرزنامات في بداية السنة الميلادية، وكل ذلك يتعلق بهذا، بل حتى الأحكام الشرعية أخضعوها للميلادي، يزكي على الحساب الميلادي، هذا غير صحيح، فيه فرق بين السنة الميلادية والسنة الهجرية اثنا عشر يوم وثلث يوم، يعني في ثلاثين سنة: سنة! يعني الذي عمره ثلاثون سنة ففي الهجري واحد وثلاثون، بعضهم يقول: فلان توفي وعمره ٨٣، نقول لا هذا عمره ٨٦.

إذا قال بعضهم لماذا لا نعتمد على السنة الميلادية؟ نقول لا نعتمد لأنها ليست منضبطة كانضباط السنة الهجرية، وهذه المسألة أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تحديد الوقت، بعضهم يحدد السنة واليوم والشهر شمسيا، وبعضهم يحدد قمريا، وبعضهم يحدد عدديا، والمسلمون يحددون اليوم شمسيا، والشهر قمريا، والسنة عدديا، وكل هذا تحديد بالمحسوس.

فاليوم شمسي، طلوع الفجر تراه بعينك، وغروب الشمس تراه بعينك، والشهر قمري بداية الهلال، نهاية الهلال، والسنة عددية، {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}التوبة٣٦، تحديد كم شهر في السنة، اثنا عشر شهرا، وتحديد الشهر؟ قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ}البقرة١٨٩، الهلال موقت، وقت لتحديد الشهر قال تعالى {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}يس٣٩، يبدأ هلالا من هذه الجهة، وينتهي إلى هذه الجهة، انتهى الشهر، واليوم بطلوع الفجر الذي هو أثر الشمس، كما قال تعالى {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ}الكهف١٧، طلوع وغروب تحديد.

إذن السنة الهجرية غير السنة الميلادية، وبينهما اثنا عشر يوما وساعات، وبعض الناس يجعل زكاته على السنة الميلادية، يعني قد يكون مر على وجوب الزكاة اثنا عشر يوما ولم يزك بعد، فإذا توفي بعد خمسة أيام توفي ولم يزك، وبالتالي يكون قد مات عاصيا آثما، الواجب إذا حلت الزكاة أن يبادر، وأيضا المرأة عدتها ثلاثة قروء -أشهر- الشهر الهجري وليس الميلادي، وبالتالي قد يكون ٥٨ يوما وقد يكون ٥٩ وقد يكون ٦٠.

وإذا نذر وقال: نذرت أن أصوم شهرا، ليس لازما أن يكون ثلاثين يوما، يمكن أن يكون تسعة وعشرين يوما، وأحكام كثيرة جدا.

فلا يقولن أحد إن هذا تعصب زائد، لا، إنما تتعلق به أحكام شرعية، وهذا لا يعارض مسألة الأيمان، كقولي: والله لن أعطيك هذا حتى يدخل الشهر المقبل، فتقول: أوقعتنا في مشكلة أي شهر تقصد؟ الهجري أو الميلادي؟ الأيمان لها علاقة بالأعراف، والعرف السائر بين الناس للأسف هو الشهر الميلادي، لو قال لك الآن: أعطيك أمانتك الشهر المقبل، يعني أكتوبر، لأن اليمين مرجعها إلى العرف، فلا يتعارض هذا مع ما قررناه سابقا.

إذن لابد أن نهتم، لا بد أن نعرف جميعا السنة الهجرية نسبة إلى هجرة النبي ﷺ ومن الذي أطلق هذا التاريخ، وأي سنة نحن فيها، ماهي الأشهر الحرم عدة الشهر، أي يوم نحن فيه، وتعلمون ذلك للأبناء، هذا لابد منه، وهذا من منطلقات الحضارة، ولا يمكن لأمة أن تقوم بحضارتها وهي تجهل تاريخها.

في سنة (١٧) ق. م نقل وكتافيوس يوبا من نوميديا الحديثة، وأضافها إلى ولاية إفريقية، وجمعتا تحت وال واحد إلى نظر مجلس الشيوخ[٤]، وعوضه عنها بالموريطانيتين وبعض المراكز الجيتولية[٥].

فأصبحت له مملكة مترامية الأطراف، حدها الشرقي جيجل أو بجاية، والغربي المحيط الاطلانتيقي، والجنوبي الصحراء.

نزل من مدن هذه المملكة يول[٦]، واتخذها قاعدة، وسماها قيصرية وتولى إدارتها بحسن تدبير، وكانت هذه المملكة قبل لبوكوس الثالث.

فلما توفي قدم إليها وكتافيوس نفسه، وأضافها إلى رومة، وبقيت تحت نفوذه مباشرة حتى نقل إليها يوبا.

يوبا أخذه يوليوس قيصر بعد واقعة طبسوس إلى رومة وعمره خمس سنوات، وبعد قتل قيصر كفله وكتافيوس، فقضى صباه تحت رعايته، ورباه على احترام رومة[٧]، وقد علم إخلاصه لها، فلما كبر جعله قنطرة لنقل الجراد الروماني إلى افريقية الشمالية[٨]: فولاه أولا على نوميديا.

حتى إذا نضجت ثمرتها وسهل على الرومان اجتناؤها نقله إلى الموريطانيتين - وقد كانتا تحت نفوذه ولكنه عجز عن تذليلهما- فاضعف فيها الروح الوطنية التي تلازم بساطة العيش: نشط الفلاحة فتقدمت خطوات، واعتنى بالعمران فاتسع نطاق المدن وكثرت عمارتها.

أخذ المعارف عن كبار علماء اليونان والرومان، واشتهر بالتاريخ والجغرافيا والطبيعة والنحو، وكان ذا ذوق وانتقاد للشعر والفن، وله كتب في التاريخ. منها تاريخ رومة من يوم تأسيسها إلى وفاة كافله أغسطس قيصر (وهو وكتافيوس)، يذكر في تلك الكتب النظم الرومانية وجزيرة العرب والسريان

---

[٤] الرومان.

[٥] المنطقة الخامسة، وهي تابعة لموريتانيا.

[٦] وهي منطقة شرشال.

[٧] هكذا يفعلون، يأخذون أناسا، يربونهم على قواعدهم، ويغرسونهم في الدول التي يريدون.

[٨] يقول المؤرخون: التاريخ يعيد نفسه، وبعضهم انتقد هذه القاعدة، لكن الذي أعتقده أن كلام المؤرخين هؤلاء له أثر وصحيح إلى جانب كبير.

وليبية[9]، ويتكلم فيها عن التصوير والتمثيل والنباتات،وكتب رسالة في أسباب فساد اللغة الإغريقية، وألف تآليف بها، وبالغ في التشيع للإغريق حتى نسب لهم عوائد قديمة بإفريقية وروما. وجازوه على ذلك بتشييد هيكل له بأثينا، ونقل الحضارة الإغريقية إلى عاصمته قيصرية. فجلب لها علماء ورسامين وممثلين من الإغريق، وأنشأ بها بناءات فاخرة رسم عليها تماثيل من أحسن ما تنمقه يد الاغريقي.

ولم يزل يؤيد السيادة الرومانية بوطنه ويخلد ذكر كافله حيث تسمى باسمه، فدعى نفسه " كايوس يوليوس" ونسب عاصمته يول إليه فدعاها قيصرية، وشاد بها معبدا لإلهه".

والخلاصة أنه كان متشيعا للإغريق في العلوم والحضارة، وللرومان في الحكم والسياسة، عديم الغيرة الوطنية والإحساس القومي.

في سنة (٦) م توفيت زوجه فدفنها شرقي قيصرية، وشاد على قبرها هيكلا ضخما، وفي سنة (٢٢) م أو (٢٣) م توفي ودفن مع زوجه، ولم يزل ذلك الهيكل مشاهدا إلى اليوم ويعرف بقبر المسيحية، ولكنها تسمية مخالفة للحقيقة، فان سيليني لم تدن بالمسيحية ولا كان لهذا الدين إذا ذاك ظهور في هذا الوطن[10].

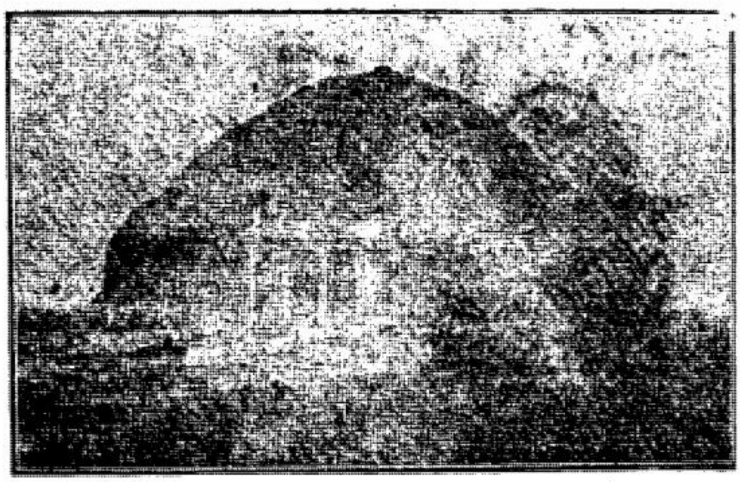

(ش — 16) قبر المسيحية

---

[9] يعني شمال إفريقيا.

[10] قبر المسيحية الذي هو في "بو راشد" يسمونه "قبر الرومية" وليس له علاقة بالمسيحية أبدا، لا علاقة له، الذي فيه يوبا الثاني وزوجته سيليني وتدعى كليوباترا، لما توفيت دفنها هناك، ثم هو فدفن هناك.

موجود هنا صورة القبر وهي نفسها الموجودة الآن، وأورد صورة قال (**رسم يوبا عثر عليه بشرشال، وهو محفوظ بدار الآثار هناك**) وذكر نقود الملك يوبا وعليها رسمه إلى اليسار ورسم زوجه إلى اليمين.

(ش — 17)

رسم يوبا عثر عليه بشرشال . وهو محفوظ بدار الآثار هناك

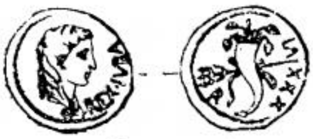

(ش — 18)

نقود الملك يوبا وعليها رسمه

(ش — 19)

نقود الملك يوبا وعليها رسمه الى اليسار ورسم زوجه الى اليمين

[٢٦ - بطليموس ٢٣ م - ٤٠ م]

بطليموس هو ابن يوبا الثاني. سماه بهذا الاسم الاغريقي من شغفه بالإغريق، ورث عرش أبيه بعد وفاته، وكما كان اسمه غير بربري كان هو عديم الغيرة البربرية والحماس القومي. فلم يعمل كجده يوبا الأول ومن قبله من سلفه للاستقلال البربري. بل كان كأبيه يؤيد النفوذ الأجنبي ويخدم مصلحة رومة.

لم يرث بطليموس عن أبيه غير عرشه وإخلاصه لرومة. ولم يرث عنه أذواقه العلمية وتدابيره الإدارية. فترك أمور دولته بيد الحاشية، وانهمك في الملاهي والفجور، وبذلك وجد البربر سبيلا إلى استعادة حياتهم الحربية.

كان بنوميديا ثائر بربري يدعى تقفاريناص، فاستدعته حاشية بطليموس[١١] إلى موريطانيا ووعدته الإعانة، فلبى طلبها ونقل الحرب إلى تلك الناحية.

نقفار يناص هذا رجل بربري تجند بالجند الروماني وبلغ رتبة ضابط معين، ثم فر إلى القبائل البربرية المقيمة بجهات أوراس، وأثارهم على الرومان سنة (١٧) م[١٢]. فهجموا على الجنود الرومانية في مراكزها، واتسعت ميادين الثورة من خليج طرابلس إلى الحضنة.

برز لمحاربته كاملوس والي إفريقية فلم يقو تتقفاريناص على مقابلته وفر إلى الصحراء، واشتغل فيها بتنظيم الجنود على الطريقة الرومانية[١٣]. فاتخذ الفرسان والمشاة، وفي ظرف عام تمم تنظيمه وتمرينه، فأعاد الكرة على الرومان، وهزمهم بوادي باجيدة (ساحة لمبس) فتركوا له حصونا، وغنم غنائم جليلة. فتشجع بهذا الانتصار، وذهب إلى تالة (بعمالة تونس) وحاصرها، فضاعف الرومان قوتهم مضاعفة أعجزت تقفاريناص عن مقابلتها، ففر أيضا إلى الصحراء، وذلك سنة (٢٠) م.

[١١] بطليموس هذا تفرغ للملاهي واللهو والفجور، وحاشيته لم يجدوا فيه الرغبة في إقامة البلد، فدعوا تقفاريناص

[١٢] يعني لم يكن مغنيا، كان جنديا.

[١٣] يعني استفاد مما كان في الرومان من تقنياتهم.

وبعد قليل أرسل إلى الامبراطور طيبريوس وفدا يعرض عليه الصلح على أن يقتسم معه أراضي إفريقية، فأبت للإمبراطور عظمته النزول لقبول هذا الشرط، ورآه وقاحة من تقفاريناص، فأرسل إلى الجيتوليين يعدهم بالعفو ان هم وضعوا السلاح. وجعل جعلا لمن يقتل تقفاريناص، فلم يجد من بطانة هذا الثائر خائنا[١٤].

وفي سنة (٢١) وجه الإمبراطور لحربه القائد بليسوس (BLOESUS) وكان ذا دراية بالحرب، فقسم جيشه أقساما وراء كل قسم حصن، فمكث في مطاردة تقفاريناص عاما، وكان يهزمه كلما التقيا، ولما اعجزت تقفاريناص الحيلة ويئس من الانتصار عاد إلى الصحراء ملجئه من قديم سنة (٢٢).

سُر الرومان بانتصار بليسوس سرورا عظيما، ولقبوه الغازي، ولكن هذا الانتصار لم يكن حاسما للثورة. فإن تقفاريناص رجل لا يأبه بمعاكسة الأيام. ولا تقف أمام عزيمته العقبات. ولا يفشل للنوائب والصدمات، فمكث بعيدا عن الرومان بالصحراء حتى بلغته وفاة يوبا، فجدد عزمه، وجمع جموعه، واستثار القبائل الجيتولية من جديد، وحاصر بعض المدن، فعين الرومان لحربه دولبلة (DOLABELLA). وابتدأ هذا الروماني بقتل عظماء الجيتوليين؛ واتخذ مراكز للجنود على حدود الصحراء، وطلب من بطليموس امداده برجال البربر فأمده، وبلغ تقفاريناص مدينه توبوسبطوس (TUBUSUPTUS) - تيكلات-، فحاصرها، وبرز اليه دولبلة بعد ذلك الاستعداد فأجلاه عنها، وفر أمامه- كعادته- الى الصحراء، فلقيته الجنود المرابطة بحدودها.

هنالك توجه نحو موريطانيا اعتمادا على وعد حاشية بطليموس له بالإعانة، فأحاطت به الأعداء في الطريق، وما بلغ عوزية (سور الغزلان) حتى أدركه دولبلة، وانقض عليه ليلا فأفنى جيشه وقتله! وذلك سنة (٢٤)[١٥].

---

[١٤] كانوا أهل وفاء.

[١٥] يعني كان ذلك إثر غدر وقع عليه.

وهكذا انتهت حياة هذا البربري الذي يحمل بين جنبيه روحا استقلالية[16]، وهو يعلم ما فيها من المصاعب، إذ ما كان يجهل قوة رومة ولا انتشار نفوذها بالوطن البربري. ولكنها العزائم الفولاذية تدفع بأربابها الى ما وراء التأمل في العواقب[17]. والبطولة قد تنتهي بصاحبها إلى الجنون[18].

سر الرومان بالقضاء على شخص تقفاريناص الذي شغلهم مدة ثماني سنين، وجازى مجلس الشيوخ بطليموس على إعانته بقضيب من عاج وحلة مطرزة بالذهب، حمل هذه الجائزة أحد الشيوخ وذهب بها إلى بطليموس مكلفا من قبل زملائه بمقابلته وتهنئته باسم "ملك حبيب حليف"، ما أجود بطليموس! بل بئس الجود جود بطليموس: يعين الرومان على قتل بني جنسه ليملكوا أراضيهم ونفوذهم ورقاب بقية الأمة، في مقابلة ألقاب وتحف! وبعد كيف كانت عاقبته معهم؟

في سنة (٣٩) أرسل إليه الإمبراطور غليقلا (CALIGULA) يستدعيه إلى رومة- وكانت بينهما خؤلة- فلبى الدعوة حينا، وذهب في هيئة عظيمة غار لها الإمبراطور، وحضرا ذات يوم المرسح، فأعجب الحاضرون بثوب بطليموس الأرجواني، فاغتاظ لذلك الامبراطور وزجه في السجن وقطع عنه الطعام ولم يترك له ماء غير ماء الميازيب[19]. وانتهى به الغيظ إلى أن قتله، يقول مرسي: " إما غيرة من هيئته

---

[16] إذن كم مر معنا ممن يحمل الروح الاستقلالية للبربر؟ أربعة: ماصينيسا، يوغرطا، يوبا الأول وكل منهما قتل غدا وهذا الرابع.

[17] مثل مجاهدي هذا البلد، في بداية الثورة الجزائرية، كان الذين تبنوا هذه الفكرة عددا قليلا جدا، كانت بدايات هذه الفكرة عند أفكار معينين، تدفعهم إلى ذلك الحماسة، وحرقة ومحبة لهذا البلد، وهذا الدين، ولهذه اللغة، مع قلتهم وقلة ذات يدهم يعلمون ما عليه العدو الغاشم فرنسا، وقد كانت ثالث قوة عالمية، فيعلمون ما عندهم من أسلحة وقوة وتسلط، ولكن لم يمنعهم ذلك من الإقدام، كانت عندهم عزائم فلاذية **(تدفع بأربابها الى ما وراء التأمل في العواقب)** يعني إذا تأمل في العواقب علم أن عاقبة الأمر حده عند هذا فلا يفعل، لكن هو يتجاوز عواقب التأمل، فهو يكون سائرا بذات الطريق ويأخذ عنه الشعلة بعد ذلك غيره، وبدؤوا كذلك ولهذا الأوائل الذين أوقدوا فتيل هذا الجهاد الذي كان لله ﷻ لتحرير هذا البلد من الغاشم الكافر الكثير منهم قتل شهيدا في سبيل الله ﷻ، فهكذا كان المجاهدون في هذا البلد حتى حرروها من سيطرة الكفار.

[18] يعني يقدم على أمور جد خطيرة.

[19] جمع ميزاب وهو الجارية التي يمر عليها الماء.

وإما نهما في سفك الدماء وإما طمعا في الحاق مملكته برومة رأسا"[20] وسواء كان القتل لأحد تلك الأغراض أو لثلاثتها فإن غيرة الامبراطور من هيئة بطليموس وبهت العامة مما يدل على تفوق الأزياء البربرية على الأزياء الرومانية[21].

---

[20] هذه المشاهد التاريخية يستفيد منها الإنسان، والفائدة هنا: إياك أن تستثير غيرة غيرك، وإياك أن تستثير حسد غيرك، لاسيما إذا كنت تعرف أن فلانا من الناس -خاصة أصحاب المناصب- فيه حسد، وفيه غيظ، وفيه غيرة، هذه تحمله -ليس فقط- على إلحاق الأذى بك، بل تحمله على القتل، ولو لم يباشر فمن غير المباشرة، وبخاصة أصحاب المناصب، يعني تكون عندك وجاهة، يكون عندك شيء تلفت به الأنظار وتحضر مجالس أهل المناصب الذين يحبون المدح، ويحبون أن تتوجه إليهم الوجوه والنفوس والذِّكر والمدح، فأنت تأتي وتجلب الأمة كلها إليك، فتصير تصفق لك وتمدحك وتذكرك، وتتوجه إليك، تكون كما قال المثل **(على نفسها جنت براقش)**، القصة أن قبيلة من العرب كان فيهم كلبة، يسمونها براقش، أينما ذهبوا أخذوها معهم، وهي تنبه وتحدث الصوت، والذين تابعوهم صاروا يعرفون آثارهم وتواجدهم بنباحها، حتى أكبوا عليهم وقتلوهم جميعا، فجاء هذا المثل، أظن هكذا القصة أو أنها قريبا منها **(على نفسها جنت براقش)**.

إذن انتبه أين تجلس، ومع من تجلس، وماذا تقول، وكيف تقول، ثم إياي وإياك من أن تسرق أنظار الناس من غيرك كي تتوجه إليك، خاصة مع من نفسه مريضة بالحسد والغيرة، فهذا إمبراطور رومي غار من أحدهم يملك شيئا من الأرض، ثم هو خاضع له، متبع له ومُنقاد، لكن لما رأى الناس يمدحونه في لباسه وهيئته اغتاظ منه، هكذا النفوس المريضة حالها.

ثم إني أقول هذا في هؤلاء الناس على هذه الهيئة، ولا نستطيع أن نبرئ حتى أنفسنا، وحتى من ينتسب إلى العلم من مثل هذه الوجدانات والإحساسات لأننا بشر، والإنسان بحسب الطينة التي هو منها، وقد ذكرنا لكم الحديث أن الله ﷻ لمّا خلق آدم أخذه بقبضة من جميع الأرض، والأرض فيها التراب والرمل والطين والسبخة، فيها اللين واليابس فما تدري الإنسان من أين طينته، وإن كان ينتسب إلى العلم، قد تكون طينته فيها ما فيها، فمثل هذا أيضا يقع بين من ينتسب إلى العلم، فقد تنزل منطقة ما، ويكون لهم بها مرجع ومن هو بارز بالعلم، فتجلس مجلسا ثم تظهر ما عندك من حفظ أو فهم أو ضبط لمسائل أو علم، فتصرف الوجوه عن فلان إليك، قد تكون نفسه سليمة صفية صفاء، فيبادر إلى أن يقدّمك وأن يحتفي بعلمك، ولكن قد تكون نفسه غير ذلك، وعند هذا يجتهد على أن يطيح بك، وأن يسقطك، وعلى أن يلصق بك ما ليس فيك.

وهذا الذي أقوله ليس تنظيرا لأنه طرأ في ذهني من خلال قراءتي، لكنه شيء واقعي، ولو جئنا لذكر أمثلة من كتب التراجم والتاريخ لذكرنا الشيء العجيب، لأن النفوس تختلف، فالإنسان لا بد أن يكون لبيبا وفطنا، ويفطن.

كان لنعي بطليموس أسوأ الأثر في نفوس البربر دفع بأحد مواليه المسمى أدمون إلى رفع لواء الثورة وعزره الجيتوليين ولكن الرومان تمكنوا من إخماد ثورته، فرجع الأمر إلى نصابه، وألحقت موريطانيا برومة. وذلك سنة (٤٢) م تقريبا[٢٢].

ولترى أيضا فائدة وقاعدة اجتماعية يحتاج لك أن تعيش بها، فاعرف إذا نزلت منزالا لأهل الفضل فضلهم، ولأصحاب الوجاهة وجاهتهم، ولأصحاب المناصب مناصبهم، ولأصحاب القدر والهيئات قدرهم وهيئتهم، تنتفع بهذه القاعدة.

[٢١] الآن يذهب أحدهم للعيش في فرنسا أو إسبانيا، ويأتي ليفتخر على الأمة، خذ هذه من القديم: الأزياء البربرية أفضل من الأزياء الرومانية، عندنا أذواق أحسن من أذواقهم، هذه جميلة ممن يعترف بها، أما إذا لم يكن يعترف بها يحدث له مثل ما حدث لصاحبنا في الحافلة، قديما كان يحمل معه المسجل الصغير (والك مان) فتوقفت البطاريات، فأخرج أخريين ووضعهم، فقال له شخص (شفت واش يديرو الغرب؟) قال (عمي هذو خدموهم في دزاير) قال له (إييه عليها طراية بزاف)، فتفوق الأزياء البربرية على الأزياء الرومانية لمن يعترف بالحق.

[٢٢] يعني بعد أن قتل بطليموس بهذه الطريقة ثأر له أدمون وأثار ثورة أخرى لكنها سرعان ما أخمدت، وعاد الأمر إلى ماكانو عليه من قبل.

انتهى أشهر هؤلاء الرؤساء، يأتي بعد ذلك ذكر انقراض الممالك البربرية، درسنا إن شاء الله في يوم لاحق بإذن الله تبارك وتعالى.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ.